الفتنة في نهج البلاغة

قراءة في المصطلح والأسباب والمواقف

الأستاذ: أحمد محمد جواد محسن (*)

من أكثر القضايا التي شغلت الإمام علياً عليه السلام أثناء فترة حكمه، هي اشتعال الفتن وكيفيّة إطفاء نارها. والفتنة تمتدّ معانيها: من الابتلاء، إلى المال والبنين، إلى الإغراء، إلى الاضطراب والضلال والعداوة والقتال. ونتيجةً للأوضاع المضطربة في تلك الفترة، فقد طغت على خطب الإمام عليه السلام ورسائله، المعاني الأخيرة للفتنة، لذلك سنبدأ في هذه الدراسة بمعنى الفتنة في اللّغة العربية، ومن ثم نبيّن كيف وردت في القرآن الكريم، وكيف وصفها الإمام في نهج البلاغة، بعدئذٍ نبحث عن الأشخاص الذين يقفون وراءها، وعن الأسباب التي تؤدّي لاشتعالها، وكيف تعامل الإمام مع الفتنة، وما هي الوسائل المساعدة على إخمادها.

(*) باحث وأكاديميّ عراقيّ، ماجستير في الرياضيات، وعضو سابق في هيئة التدريس في جامعة سبها/ ليبيا.

معنى الفتنة في اللّغة

ذكر ابن منظور في لسان العرب معاني كثيرة للفتنة، وهي: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذٌ من قولك: فَتنتُ الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار لتميّز الرديء من الجيد،... يُقال: فلانٌ مفتونٌ بطلب الدنيا: قد غلا في طلبها... والفتنة: المحنة والمال، والأولاد والكفر. والفتنة: اختلاف الناس بالآراء... والفتنة: الضلال والإثم. وفاتنٌ: أي يعاون أحدهما الآخر على الذين يضلّون النّاس عن الحق ويفتنونهم، والفتنة: الإضلال، وما يقع بين الناس من القتال. وأمّا قول النبي ﷺ: **«إنّي أرى الفِتنَ خِلال بيوتكم، فإنّه يكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فِرق المسلمين إذا تحزّبوا، ويكون ما يُبلونَ به من زينة الدنيا وشهواتها فيفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها»**[1].

وذكر التهانويّ: أنّ الفتنة هي ما يتبيّن به حال الإنسان من الخير والشرّ، وهي في الأصل: إذابة الذهب في البوتقة بالنّار؛ ليظهر عياره[2].

غير أنّ معنى الفتنة، أخذ ينحصر أكثر في الوقت الراهن في مجالٍ محدّد، وهو الابتلاء والامتحان والاختبار والمحنة والخصومة والضّلالة والإثم واختلاف الناس بالآراء وما يقع بينهم من القتال والاضطراب وبلبلة الأفكار.

وبهذا المعنى يقول المتنبي:

مُخيّم الجمع بالبيداء يصهَرهُ ... حرُّ الهواجِر في صُمٍّ من الفتن

الجمع: الجيش. البيداء: الصحراء. صهرت الشمس دماغه: أذابته. الهواجر: جمع هاجرة وهي منتصف النهار. الصمّ: الشداد[3].

كذلك وردت الفتنة على لسان عليّ بن محمد صاحب ثورة الزنج وهو يخاطب العباسيين:

بنى عمّنا لا توقدوا نارَ فتنةٍ ... بطيء على مرّ اللّيالي خمودها[4]

مصطلح الفتنة في القرآن الكريم

مِن المصطلحات التي تكررت كثيراً في القرآن الكريم، هو مصطلح (الفتنة) باشتقاقاته المتنوّعة، حيث ورد في أكثر من خمسين آيةً، ولكن بمعانٍ مختلفة. صنّف هذه المعاني مجمع اللغة العربيّة في القاهرة[٥] إلى أربعة أصنافٍ نذكرها هنا باختصار:

أ) المعنى الحسّيّ المباشر، الفتنة: الإحراق بالنار ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١٤]. وقد يكون معناها الإيذاء أو الضلال.

ب) وقد يكون معناها: الاختبار، ومن هذا تطلق الفتنة على ما هو سببٌ لها ويُوقع فيها، مثل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ج) ومن المعنى الحسّيّ في الإحراق تُستعمل الفتنة فيما هو إهاجةٌ أو إحراقٌ معنويٌّ قلبيّ، كالحبّ والوَلَه، وما هو منه بسبيل كالإعجاب، والإغراء، وما يتبع ذلك من إمالةٍ عن القصد وإزالةٍ عما عليه الشخص من اختلالٍ واضطرابٍ بفعل هذه المؤثّرات، وورد من ذلك: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وكذلك: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ومن هذا المعنى يُسَمّى الشيطان: (الفتّان).

د) ومن الإحراق بالنار لتمييز جيّد المعدنين من الرديء تُستعمل الفتنة بمعنى الابتلاء والاختبار في: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ويلخّص الراغب الأصفهاني الفتنة بقوله: «**والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، ومن العبد، كالبليّة والمصيبة، والقتل والعذاب، وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضدّ ذلك، ولهذا يذمّ الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان**»[٦].

وصْف الفتنة في نهج البلاغة

لقد ذكر الإمام عليه السلام الفتنة كثيراً في خطبه ووصاياه ورسائله، غير أنّها انحصرت في محورين:

الأوّل: وهو المعاني العاديّة للفتنة، كحبّ اللذّات والشهوات، من مالٍ وبنين وغيرها، وأيضاً: بمعنى الإغواء والخداع والحسد، كما جاء في كتابه إلى الحارث الحمداني: «**وإيّاك ومقاعد الأسواق، فإنّها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن**»[٧].

لكنّ المعاني في هذا المحور جاءت قليلةً في نهج البلاغة.

أمّا المحور الثاني فقد كان بمعانٍ أكثر تحديداً للفتنة، لما تمثّله من إثارةٍ للمشاكل والاضطراب والقتال والخروج عن طاعة الإمام، وقد كانت هي الغالبة في خطبه ورسائله، بسبب الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة المضطربة آنذاك. حيث الصراع بين الحقّ والباطل، والخير والشرّ. ومن الأمور الدقيقة التي يوضّحها الإمام: أنّ هذه الفتن كامنةٌ لدى كلّ إنسان، وذلك بقوله ـ في القصار من كلماته ـ: «**ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة**»[٨].

ومع أنّ حديثه كان عن الأموال والأولاد، التي يُطلق عليها (مضلاّت الفتن)، لكنّها يمكن أنْ تنطبق على المعاني الأُخرى، ويعتمد ظهورها وخفاؤها على طبيعة الإنسان من فضيلة أو رذيلة.

بدأ الإمام بوصف الفتنة أوّلاً في الجاهليّة، وهي حالة العرب قبل الإسلام، وما كان بينهم من فرقةٍ واقتتال، وذلك بقوله: «**بعثه** ـ أي: **الرسول محمّد** صلى الله عليه وآله ـ **والناس ضُلاّلٌ في حيرةٍ، وخابطون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبرياء، واستخفّتهم الجاهليّة الجهلاء**»[٩].

كذلك يصف الإمام حال الناس قبل البعثة بقوله: «**أرسله على حين فترةٍ من الرسل، وطول هجعةٍ من الأمم، واعتزام من الفتن**». ثمّ يصف الدنيا، وأنْ ليس لها نتيجةٌ سوى الفتن بقوله: «**ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف،**

ودِثارها السيف»[١٠].

ووصف الإمام الفتنة ـ في خطبةٍ له عن فتنة بني أميّة ـ بقوله: «**إنّ الفتن إذا أَقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، يُنْكِرْنَ مُقْبلات، ويُعْرِفْنَ مُدْبرات، يَحُمْنَ حول الرياح، يُصبْنَ بلداً ويُخطئْنَ بلداً. ألا إنّ أخوَفَ الفتن عندي عليكم فتنة بني أميّة، فإنّها فتنةٌ عمياء مظلمةٌ، عمّتْ خُطّتها وخصَّتْ بليّتها، وأصاب البلاءُ من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها... تَرِدُ عليكم فِتنتُهمْ شوهاء مخشيّةً، وقِطعاً جاهليّةً، ليس فيها منار هدىً، ولا عَلَمٌ يُرى**». فالفتنة هنا يشتبه فيها الحقّ بالباطل، وتُعْرَف بعد انقضائها، وتنكشف حقيقتها فتكون عبرة. ومن عرف الحقّ فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أميّة. وهذه الفتنة تكون قبيحة المنظر، ومخوفةً مرعبة، وليس فيها دليلٌ ليهتدي به[١١].

كما وصف الإمام الفتنة في كتابٍ له إلى معاوية يقول فيه: «**فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها، فإنّ الفتنة طالما أغدقت جلابيبها، وأعْشت الأبصار ظُلمتها**». أي: طالما أسدلت الفتنة أغطية الباطل فأخْفت الحقيقة، وأضعفت الأبصار ومنعتْها النفوذ إلى المرئيّات الحقيقيّة[١٢].

إذن، فالغاية من الفتنة هي خلط الحقّ بالباطل، ومن ثمّ لا يمكن التمييز بينهما. كذلك وصف حالة الناس أثناء الفتنة ـ في خطبةٍ له في التحذير من الفتن ـ بقوله: «**ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقاصمة الزحوف، فتزيغ قلوبٌ بَعْد استقامة، وتضلّ رجالٌ بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، مَنْ أَشْرَفَ لها قضمتْه، ومَنْ سعى فيها حطّمته، يتكادمون فيها تكادم الحُمر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وعَمِي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحلها، وتَرُضُّهُمْ بكلْكلها، يضيع في غبارها الوُحْدان، ويهلك في طريقها الركبان، تَرِدُ بِمُرٍّ القضاء، وتحلبُ عبيط الدماء، وتثلمُ منار الدّين، وتنقص عقد اليقين،**

تهرب منها الأكياس، ويدبّرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تُقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، بزّيها سقيم، وظاعنها مقيم. بين قتيلٍ مطلول، وخائفٍ مستجير، يختلّون بعقد الأيمان وبغرور الإيمان»[١٣].

وكذلك يصف الإمام رايات الفتن بقوله: «أقبلْنَ كاللّيل المظلم، والبحر الملتطم، هذا، وكم يخرق الكوفة من قاصف، ويمرّ عليها من عاصف، وعن قليلٍ تلتفّ القرون بالقرون، ويحصد القائم ويحطم المحصود». أي: يكون الاشتباك بين قوّاد الفتنة وبين أهل الحقّ. وما بقي من الصلاح قائماً يحصد، وما كان قد حُصد يُحَطَّم ويُهَشَّم، فلا يبقى إلا شرٌّ عامٌّ وبلاءٌ تامّ، إنْ لم يقم للحقّ أنصار»[١٤].

كما يصف الفتنة بمرارةٍ بعد انصرافه من صفّين بقوْله: «وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَر». ثمّ يقول: «أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا».

وانجذم: انقطع، السوراي: جمع سارية: العمود والدعامة. النجر: الأصل. أي: اختلفت الأصول، فكلٌّ يرجع إلى أصلٍ يظنّه مرجع حقّ، وما هو من الحقّ في شيء. ومصادرهم في أوهامهم وأهوائهم مجهولةٌ غير معلومة، خفيّةٌ غير ظاهرة، فلا عن بيّنةٍ يعتقدون، ولا إلى غايةٍ صالحة يَنزعون[١٥].

ويتبيّن من الأوصاف التي ذكرها الإمام عليه السلام للفتنة، كم هي خطرةٌ ومُرْعبةٌ وعواقبها سيّئةٌ، مُهْلكةٌ، شاملة.

من يقف وراء الفتنة؟

لقد صنّف الإمام عليه السلام، الذين يقفون وراء الفتنة ومثيريها إلى عدّة فئات:

الأُولى: تتمثّل بشخصٍ يسير خلف هواه فيما يعتقد، لا يرجع إلى حقيقة الدين، ولا يهتدي بدليلٍ من الكتاب، ولم يعتمد على ركنٍ من الحقّ، هذا الضالّ المولَع بتنميق الكلام لتزيين البدعة، الداعي إلى الضلالة.

والفئة الثانية: يمثّلها شخصٌ يجمع المسائل والقضايا التي يظنّها تحكي واقعاً ولا واقع لها، ينتهز افتتان الناس بجهلهم، وعَماهم في فتنتهم فيعدّ إلى غايته من التصدّر فيهم والسيادة عليهم بما جمع ممّا يظنّه الجهلة علماً وليس به.

جاء ذكر الفئتين في كلامٍ للإمام عليه السلام في وصفه من يتصدّى للحكم بين الأمّة وليس لذلك بأهلٍ بقوْله:

«**إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجلٌ وكله الله إلى نفسه، فهو جائرٌ عن قصد السبيل، مشغوفٌ بكلام بدعةٍ، ودعاء ضلالةٍ، فهو فتنةٌ لمن افتتن به، ضالٌّ عن هدى من كان قبله، مُضِلٌّ لمن اقتدى به في حياته وبَعْدَ وفاته، حمّال خطايا غيره، رهْنٌ بخطيئته، ورجلٌ قَمَشَ جهلاً، مُوضِعٌ في جهّال الأمة، عادٍ في أغباشِ الفتنة، عمٍ بمعاقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناسِ عالماً وليس به...**»[١٦].

والفئة الثالثة: هم كبار القوم الذين ضلّوا، فهم الأسس التي تقوم عليها الفتنة.

ويُطْلِق عليهم الإمام اسم (دعائم أركان الفتنة)، كما جاء في الخطبة القاصعة: «**ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبّروا عن حسبهم، وترفّعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربّهم، وجاهدوا الله على ما صنع بهم، مكابرةً لقضائه، ومغالبةً لآلائه، فإنّهم قواعد أساس العصبيّة، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهليّة**». والهجينة:الفعلة القبيحة. والتهجين: التقبيح، أي: أنّهم باحتقار غيرهم من الناس، قبّحوا خلق الله لهم. الآلاء: النعم[١٧].

وهناك فئةٌ رابعة: هم الظلمة الذين يفرحون بإثارة الفتنة، وكما يقال: «**الفتنة**

عرس الظالم». ولقد بيّن الإمام هذه الفئة في خطبته عن التحذير من الفتن، وذلك بقوله: «**يتوارثها ـ أي: الفتنة ـ الظلمة بالعهود، أوّلهم قائدٌ لآخرهم، وآخرهم مُقتدٍ بأوّلهم**». ويمضي بالقول أيضاً: «**تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة**»[١٨].

وفئةٌ خامسة: هم المخالفون لأوامر الدين، حيث يقول ـ في كلامه عن وقوع الفتن ـ: «**ويتولّى عليها ـ أي: الفتن ـ رجالٌ رجالاً على غير دين الله**»[١٩].

ومن الواضح: أنّ هذه الفئات تحمل صفاتٍ متداخلةً فيما بينها، كالضلالة والشرّ والظلم، وقد لخّص الإمام من يقف وراء الفتنة ويدبّرها، بقوله ـ وقد ذكرنا ذلك ـ: «**يدبّرها الأرجاس**»، أي: الأشرار.

أسباب وقوع الفتنة

لم يحصر الإمام عليه السلام أسباب وقوع الفتنة في سببٍ واحد، وإنّما في أسبابٍ متعدّدة نجدها في مواقع مختلفة من نهج البلاغة، سنذكرها حسب تصنيفنا لها، وقد تتداخل فيما بينها:

أولاً: اتّباع هوى النفس، وميلها إلى الشهوة، وما تستلذّ من غير المحمود، من طلبٍ للدنيا والمال والجاه وغيرها.

وثانياً: ابتداع أحكامٍ واجتهاداتٍ مخالفةٍ لكتاب الله، لكنّ الذي يُصْدر هذه القضايا يحاول إظهار الباطل بمظهر الحقّ، إمّا من أجل منفعةٍ معيّنة، أو خوفٍ من ضررٍ قد يقع عليه.

وقد ذكر الإمام هذين السببيْن في كلامه عن وقوع الفتن، فقال: «**إنّما بدْء وقوع الفتن أهواءٌ تُتّبع، وأحكامٌ تُبْتَدع، يُخالَف فيها كتاب الله**»[٢٠]. أي: أنّ هؤلاء يعملون حسب آرائهم في القضايا التي عليها التباس، فتراهم يحلّلون ويحرّمون، دون الرجوع إلى دليلٍ واضح. لذلك يقول الإمام عنهم: «**يعملون في**

الشبهات ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مَفْزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأنّ كلّ امرئٍ منهم إمام نفسه، قد أخذ فيما يرى بعُرىً ثقات، وأسبابٍ مُحْكمات»[٢١].

كما أن اتّباع الهوى هو أحد أمرين حذّر منهما الإمام عليه السلام، وهما: اتّباع الهوى، وطول الأمل، بقوله: «**أيّها الناس! إنّ أخوْف ما أخاف عليكم اثنتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل. فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فيُنْسي الآخرة**»[٢٢]؛ لأنّ اتّباع الهوى ناجمٌ عن أنّ كلّ شخصٍ يعتقد أنّ رأيه الشخصيّ صحيحٌ تماماً ولا يُمْكن تغييره، ويحاول إظهار رأيه بمظهر الرأي الصحيح لهدفٍ ما في داخله.

وسببٌ ثالثٌ: هو المنافسة والتكالب على الدنيا، وما فيها من مُغْريات السلطة والثروة. وفي هذا المقام، يقول الإمام عليه السلام في خطبته في التحذير من الفتن:

«**يتنافسون في دنياً دنيّة، ويتكالبون على جيفةٍ مريحة**»[٢٣]. و(مريحة) هنا، أي: نتنة.

وسببٌ رابعٌ: هو كثرة الاختلافات بين الناس، في أمور الدين والدنيا، الأمر الذي يؤدّي إلى الفرقة والتناحر فيما بينهم، نتيجةً للنوايا السيّئة التي يحملها فريقٌ من هؤلاء الناس. وقد حذّر الإمام من ذلك في خطبةٍ له في التحذير من الدنيا جاء فيها:

«**ما فرّق بينكم إلاّ خُبْث السرائر وسوء الضمائر، فلا تؤازرون، ولا تَناصحون، ولا تباذلون، ولا توادّون**»[٢٤].

وسببٌ خامس: يُعدّ من الأسباب الرئيسيّة، وهو الابتعاد عن أوامر الله والشريعة الإسلاميّة، حيث يقول الإمام في القصار من كلماته: «**يأتي على الناس**

زمانٌ لا يبقى فيه من القرآن إلاّ رسْمه، ومن الإسلام إلاّ اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرةٌ من البناء، خرابٌ من الهدى، سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة»[٢٥].

وسببٌ سادس: هو رفض أوامر أهل الحقّ الذين كان الإمام نفسه يمثّلهم في ذلك الزمان، أي: لا بدّ من وجود مرجعٍ يتّصف بالحكمة يرجع له الناس ويمتثلون لأوامره، لذلك يقول في خطبته عن الملاحم: «**أيّها النّاس! لا يجرمنكم شقاقي، ولا يستهوينّكم عصياني، ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعونه منّي... ولكأنّي أنظر إلى ظليلٍ قد نعق بالشام، وفحص برایاته في ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرته، واشتدّت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، عضّت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها**». أي: لا تعصوني فيتيه بكم عصياني في ضلال وحيرة[٢٦].

وسببٌ سابعٌ: هو إطاعة الأدعياء الأشرار. جاء ذلك في الخطبة القاصعة: «**ولا تُطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفْوكم كدرهم، وخلطْتم بصحّتكم مرضهم، فأدخلْتم في حقّكم باطلهم، وهم أساس الفسوق، وأحلاس العقوق، اتّخذهم إبليس مطايا ضلال**». و(الأدعياء) هنا: الأخسّاء المنتسبون إلى الأشراف، والأشرار المنتسبون إلى الأخيار[٢٧].

وسببٌ ثامنٌ: هو العصبيّة والتعصّب، فالعصبيّة هي شدّة ارتباط المرء بعصُبته أو جماعته، والجدّ في نُصْرتها، والتعصّب لمبادئها. والتعصّب هو رفض الحقّ عند ظهور الدليل بناءً على ميلٍ إلى جانب[٢٨].

لذلك اعتبر الإمام أنّ التعصّب هو من الأمور التي تؤدّي إلى الفتنة والقتال، وذلك بقوله في خطبته القاصعة: «**صدّقَه ـ عدوّ الله ـ به أبناء الحميّة، وإخوان العصبيّة، وفرسان الكِبر والجاهليّة، الجامحة منكم، واستحكمت الطماعة منه فيكم، فنجمت الحال من السرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ، استفحل سلطانه عليكم،**

ودلف بجنوده نحوكم، فأقحموكم ولجات الذلّ، وأحلّوكم ورطات القتل، وأوطأوكم إثخان الجراحة». أي: استعان عدوّ الله ببعضكم على من لم يُطِعْه منكم، وهو المراد بالجامحة، و(أركبوكم الجراحات البالغة) كنايةٌ عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا[٢٩].

ويوضّح الإمام معنى التعصّب في نفس الخطبة بقوله:

«ولقد نظرْتُ فما وجدْتُ أحداً في العالمين يتعصّب لشيءٍ مِن الأشياء إلاّ عن علّةٍ تحتمل تمويه الجهلاء، أو حجّة تليط بعقول السفهاء غيركم». أي: إنّكم تتعصّبون لا عن حجّةٍ يَقْبلها السفيه، ولا عن علّةٍ تحتمل التمويه. ثمّ يذمّ هؤلاء المتعصّبين بقوله: **«فإنّكم تتعصّبون لأمرٍ لا يُعْرَف له سببٌ ولا علّة»**.

ثم يذكّر الإمام في نفس الخطبة بالتعصّب النافع بقوله: **«فإنْ كان لا بدّ من العصبيّة، فليكنْ تعصّبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور»**[٣٠].

وفي هذا المجال، يعتقد كارل بوبر ـ وهو من أهمّ فلاسفة العلم ـ أنّ الإنسان المتعصّب مصابٌ بمرضٍ عقليّ، فيقول: إنّ عقليّة الإنسان ذي وجهات النظر القاطعة الرسوخ، (الإنسان المتعصّب)، مماثلةٌ لعقليّة الإنسان المجنون. ويقول أيضاً: ربّما كانت آراؤه الراسخة موائمة، بمعنى: أنّها أتت لتتوافق مع أفضل رأيٍ مُتاحٍ في وقتها. ولكنْ على قدر ما هو متعصّب، فإنّه ليس عقلانيّاً ليقاوم أيّ تغيير، وأيّ تصويب. وطالما أنّه لا يُمكن أنْ يمتلك الصدق المحكم الدقيق ـ ولا أحد يمتلكه البتّة ـ فسوف يقاوم التصويب العقلانيّ، حتّى ولو للمعتقدات الفادحة الخطأ، وسوف يقاوم حتّى لو كان تصويبها واسع القبول إبّان حياته. كما يصف كارل بوبر الشخص العقلانيّ بأنّه الشخص ذو الصحّة العقليّة يُبْدي استعداداً معيّناً لتصويب مُعْتقداته، قد لا يفعل هذا إلاّ على مضض، لكنّه مع ذلك مستعدٌّ لتصويب رؤاه تحت وطأة الأحداث، والآراء التي يتمسّك بها

الآخرون، والحجج النقديّة[٣١].

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الإنسان المتعصّب يحاول أيضاً إخماد وقمع أيّة آراءٍ أو أفكارٍ أُخرى تتعارض مع ما يُؤمن به.

كيف تعامل الإمام عليه السلام مع الفتنة؟

إذا أخذنا معنى الفتنة على أنّها إثارة الاضطراب والضلالة والخصومة والقتال، فإنّ الإمام عليه السلام قد صنّفها ـ في نهج البلاغة ـ إلى صنفين:

الأوّل: هو الصراع بين الحقّ والباطل الذي أخذ حيّزاً كبيراً في خطبه ووصاياه وكتبه، فهو عليه السلام كان يمثّل الحقّ والصواب، وهو يصارع الظّلَمة والمُعْتدين في زمانه.

والثاني: هو الصراع بين طائفتيْن مختلفتيْن متنافستيْن كلٌّ منهما تدعو إلى الضلالة.

وللتعامل مع الصنف الأوّل، وضع الإمام عليه السلام ـ عندما كان بيده الأمر ـ منهجاً متدرّجاً لمعاجلة مُثيري الفتن، يعتمد على ثلاث مراحل، تبدأ بالنصيحة والموعظة، ثمّ بالحوار، وأخيراً بالقتال. إنّ هذا التدرّج يُعدّ، بحقٍّ، أمراً صالحاً حتّى بتغيّر الزمان والمكان؛ لأنّه يعتمد على المرونة عند مجابهة الاضطرابات والفتن المسلّحة.

فالمرحلة الأولى مرحلةٌ توضيحيّة، تنويريّة، تذكيريّة. تبدأ بالدعوة للالتزام بالتعاليم والمبادئ الجوهريّة للدين الإسلاميّ، والابتعاد عن كلّ ما يثير الفتنة، ومن ثمّ محاولة اتّقائها قبل أن تقع، وإطفاء نارها، والرغبة في حقن الدماء وحلّ الخلافات سلميّاً.

كلّ هذه الأمور، وردت في خُطب الإمام ووصاياه، التي كان يركّز فيها على التوحّد والابتعاد عن التنافر والمكابرة والالتزام بالتقوى والابتعاد عن طاعة

الأدعياء، وفي الوقت ذاته، الدعوة إلى طاعة الحكماء والصالحين. ففي خطبةٍ له عليه السلام لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيها:

«أيّها الناس شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة»[٣٢].

وفي خطبةٍ له أيضاً في ذكر الملاحم يؤكّد على التوحّد ونبذ الفرقة بين المسلمين فيقول: **«أيّها الناس ألقوا هذه الأزمة التي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم، ولا تصدعوا على سلطانكم فتذمّوا غِبّ فعالكم، ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة، وأميطوا عن سننها، وخلّوا قصد السبيل لها»**[٣٣].

ثمّ يطالب عليه السلام بالتقوى كثيراً في خطبه التي يعتبرها طريقةً للخلاص من الفتنة، فيقول في خطبةٍ له عن قُدْرة الله وفضل القرآن: **«واعلموا أنّه من يتّقِ الله يجعل له مخرجاً من الفتن»**[٣٤].

وكان الإمام يطلب من أصحابه أنْ يسألوه قبل وقوع المحن والفتن كما في قوله عن الإيمان ووجوب الهجرة: **«أيّها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها»**[٣٥].

كما أنّه يدعو دائماً إلى حقن الدماء وإلى السلْم بقوله: **«اللّهمّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلحْ ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم»**[٣٦].

وبذات الوقت كان الإمام يعارض بشدّة، ليس فقط الحرب، بل أنْ يقوم بعضٌ من أصحابه بسبّ أهل الشام أيّام حربهم بصفّين بقوله: **«إنّي أكره لكم أنْ تكونوا سبّابين»**[٣٧].

ومن المفارقات العجيبة أنْ يردّ الأمويّون على ذلك بسبّ الإمام على المنابر لفترةٍ طويلةٍ إلى أنْ جاء ـ كما هو معروف ـ الخليفة عمر بن عبد العزيز ومنع سبّ الإمام وآل البيت عليهم السلام على المنابر، وفيه يقول الشاعر كثير[٣٨]:

وليت ولم تشتم علياً ولم تُخِفْ بريّاً ولم تقبل إشارة مجرم

كانت هذه المرحلة الأولى من التعامل مع الفتنة.

أمّا المرحلة الثانية فهي طريقة الحوار، وهي تأخذ جانبيْن: الحوار المباشر، والحوار غير المباشر. فمن الحوار المباشر كان مع الخوارج ما قاله وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، ومن كلامه: «**هذا أمرٌ ظاهره إيمان وباطنه عدوان، وأوّله رحمة وآخره ندامة**»[٣٩].

أضفْ إلى ذلك: أنّ للإمام عليه السلام كلاماً كلّم به طلحة والزبير بعد بيعتهما له بالخلافة بقوله: «**لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، ألا تخبراني أيّ شيءٍ كان لكما فيه حقٌّ دفعتكما عنه ؟...**»[٤٠].

أمّا الجانب الثاني فهو الحوار غير المباشر، عن طريق رسائله ووفوده إلى خصومه وأعدائه. ومن أبرزها: رسائله إلى معاوية وإلى عمرو بن العاص وإلى طلحة والزبير، وإلى أهل البصرة وإلى زياد بن أبيه. وأحياناً يبعث الإمام مندوبين عنه، مثلاً: أرسل عبد الله بن العبّاس للاحتجاج على الخوارج، وأوصاه بقوله: «**لا تخاصمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكنْ حاججْهم بالسّنّة، فإنّهم لم يجدوا عنها محيصاً**»[٤١].

والمرحلة الثالثة: آخر الحلول لمعالجة مثيري الفتنة هو اللّجوء إلى القتال، لكنّ الإمام عليه السلام لم يصلْ إلى هذه المرحلة إلاّ بعد أن استنفذ كلّ محاولاته من أجل حقن الدماء. فمثلاً من كتابه إلى معاوية يقول فيه: «**وقد دعَوْتَ ـ أي: معاوية ـ إلى الحرب، فدع الناس جانباً واخرج إليّ، واعْفُ الفريقيْن من القتال**»[٤٢].

ومن كتابه إلى أهل الأمصار يقصّ به ما جرى بينه وبين أهل صفّين: «**فقُلْنا تعالوا نداوِ مالا يُدْرَكُ اليوم بإطفاء النائرة، وتسكين العامة، حتّى يشتدّ الأمر ويستجمع، فنقوى على وضع الحقّ مواضعه، فقالوا بل نداويه بالمكابرة، فأبوا**

حتّى جنحت الحرب»[٤٣]. النائرة: من نار الفتنة إذا انتشرت. أي: دعاهم للصلح حتّى يسكن الاضطراب ثمّ يوفيهم طلبهم فأبوا إلاّ الإصرار على دعواهم.

كما أنّه أوصى جنوده أن لا يكونوا هم البادئين بالقتال بقوله: «**لا تقاتلوهم حتّى يبدأوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وتركّكم إيّاهم حتّى يبدأوكم حجّة لكم عليهم**»[٤٤].

والفتنة قد تقع بين فئتيْن مختلفتيْن متنافستيْن، يتجاهرون بالعداوة. ذكر ذلك الإمام في خطبته حول التحذير من الفتن بقوله: «**يتنافسون في دنيا دنيّة، ويتكالبون على جيفةٍ مريحة**». والمقصود بـ(جيفة مريحة) هنا ظهر ريحها[٤٥].

وينصح الإمام عليه السلام عند حدوث الفتنة بين هاتيْن الفئتيْن بالابتعاد عنها، بقوله في نفس الخطبة: «**فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع، و الزموا ما عُقِد عليه حبل الجماعة، وبُنيت عليه أركان الطاعة، وأقدموا على الله مظلومين، ولا تَقْدموا عليه ظالمين، واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام**»[٤٦].

كما ينصح عليه السلام أيضاً أنْ يكون الموقف من الفتنة ـ بقوله في القصار من كلماته ـ: «**كُن في الفتنة كابن اللّبون، لا ظهرٌ فيُرْكَب، ولا ضَرْعٌ فيُحْلَب**». ويشرح ذلك الإمام محمّد عبده بقوله: ابن اللّبون: ابن الناقة، إذا استكمل سنتيْن، لا له ظهرٌ قويٌّ فيركبونه ولا له ضرعٌ فيحلبونه، يريد: تجنّب الظالمين في الفتنة لا ينتفعوا بك[٤٧].

وقد شرح ابن أبي الحديد كلام الإمام هذا، بقوله: ابن اللّبون، ولد الناقة الذكر إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة. وابن اللّبون لا يكون قد كمل وقوي ظهره على أنْ يُرْكَب وليس بأنثى ذات ضرع فيُحْلب، وهو مطرح لا ينتفع به. وأيّام الفتنة هي أيّام الخصومة والحرب بين رئيسيْن ضالّيْن يدعوان كلاهما إلى

ضلالة[٤٨].

ومن الدلائل على حكمة الإمام وعظمته وموقفه أثناء الفتنة، هو تعامله مع بعض الناس الداخلين في الفتنة، بحيث لا يوجّه لهم اللّوْم أو العقوبة الجماعيّة، وذلك بقوله: «**ما كلّ مفتونٍ يعاتب**»، أي: لا يتوجّه العتاب واللّوْم على كلّ داخلٍ في فتنة، فقد يدخل فيها من لا محيص له عنها لأمرٍ اضطرّه فلا لوم عليه[٤٩].

وهذا شيءٌ طبيعيّ؛ لأنّ هناك غالبيّةً تدخل في الفتنة: إمّا ضحايا تضليلٍ وخداع، وإمّا ضحايا الطمع والجاه والنفوذ.

المبادئ التي سار عليها الإمام وأثارت الفتن عليه

نتيجةً للتمسّك الشديد، الذي انتهجه الإمام في أوامر الدين وتطبيقها بعدالةٍ نحو نفسه ونحو أصحابه وولاته وخصومه، على حدٍّ سواء، أدّى بفئاتٍ معيّنةٍ للتمرّد عليه وقيام الفتن والحروب ضدّه، بعد أنْ تأكّد لها أنّ الإمام يسير وفقاً لمبادئ أخلاقيّةٍ لا يُمكن أنْ يَحيد عنها، والمبادئ هي:

أوّلاً: رفض المساومات

فعند تتبّع الأحداث في زمن الإمام عليه السلام، نجده قد أصرّ على رفض كلّ المساومات والتنازلات والمداراة والمحاباة والمداهنة للتخلّص من الفتن التي أثارتها هذه الفئات منذ بدء خلافته مباشرةً. لذلك يقول: «**ولعمري ما عليّ من قتال من خالف الحقّ وخابط الغيّ، من إدهان ولا إيهان**». الإدهان: المنافقة والمصانعة، ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والغشّ. والإيهان: الدخول في الوهن، وهو هنا عبارةٌ عن التستّر والمخاتلة[٥٠].

ومن هذه الفئات: الفئات التي كان لها مواقع في الحكم قبل خلافة الإمام، وأصرّت على البقاء فيها ولم تبايع؛ لأنّها لم تحصل على ضمان استمرارها

بمواقعها. يتّضح ذلك من خلال الكتب التي أرسلها الإمام عليه السلام إلى معاوية. فمثلاً: يقول في كتابٍ له إليه: «**فأمّا طلبك إليّ الشام فإنّي لم أكن لأُعطيك اليوم ما منعْتك أمس**»، بعد أن كتب معاوية إليه عليه السلام يطلب منه أن يترك له الشام[٥١].

وفي كتابٍ آخر يقول الإمام: «**وإنّك إذ تحاولني الأمور**»، أي: تطالبني ببعض غاياتك، كولاية الشام ونحوها[٥٢].

ومن الطبيعيّ أن يستخدم معاوية كلّ ما يملك من التبريرات معزّزاً موقفه، فيقول الإمام في كتابه إليه: «**فعدوْتَ على طلب الدنيا بتأويل القرآن**». (عدوْتَ): أي: وثبْتَ. وتأويل القرآن: تحويله إلى غير معناه[٥٣].

وفي كتابٍ آخر يقول عليه السلام: «**وأرديْتَ جيلاً من الناس كثيراً خدعتَهم بغيّك**». (الغيّ): الضلال، ضدّ الرشاد[٥٤].

وهناك فئةٌ ثانيةٌ قد بايعت الإمام عليه السلام على أمل أن تحصل على مكاسب وامتيازاتٍ منه، ولمّا يئسوا من الحصول على أيٍّ من طموحاتهم، راحوا يثيرون الفتنة، وكالعادة، فمن السهل إيجاد المبرّرات اللاّزمة لذلك. ومن هنا قال عليه السلام عن طلحة والزبير: «**اللّهمّ إنّهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، وألّبا الناس عليّ**»[٥٥]. ويقول أيضاً: «**وإنّما طلبوا هذه الدنيا، حسداً لمن أفاءها الله عليه**»[٥٦].

وفئةٌ ثالثة: أثارها مبدأ المساواة الذي قام به الإمام عليه السلام بين المسلمين في تقسيم الأموال من بيت المال، بعد أن كانوا يتمتّعون بامتيازاتٍ خاصّة؛ فمن كلامٍ له إلى طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة: «**وأمّا ما ذكرتما من أمرِ الأسوة، فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوىً منّي، بل وجدْتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه**». الأسوة: التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال، وكان ذلك قد أغضبهما[٥٧].

وكذلك، فمن خطبةٍ له لما أُريدت له البيعة: «**دعوني والتمسوا غيري، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوهٌ وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول،**

وإنّ الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت». المحجّة: الطريقة المستقيمة. تنكّرت: أي: تغيّرت علائمها فصارت مجهولة، ذلك لأنّ الأطماع كانت قد تنبّهت في كثيرٍ من الناس على عثمان بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء، فلا يسهل عليهم فيما بعد أن يكونوا في مساواةٍ مع غيرهم، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه، وطلبوا طائشة الفتنة، طمعاً في نيل رغباتهم، وأولئك هم أغلب الرؤساء في القوم، فإنْ أمّرهم الإمام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أتى ظلماً، وخالف شرعاً، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة، فإنْ لم ينالوها تحرّشوا للفتنة[٥٨].

ومن كلامٍ له لمّا عُوتب على التسوية في العطاء قال عليه السلام: **«لو كان المال لي لسوّيْتُ بينهم، فكيف؟! وإنّما المال مال الله»**[٥٩].

وممّا يؤيّد أنّ هناك من لا ترضيهم التسوية في العطاء؛ لأنّهم كانوا يتمتّعون بامتيازات أكثر، هو ما ذكره شوقي ضيف من: شكوى بعض الجنود، من الولاة والعمّال حين يخونون فيما ائتمنوا عليه، على نحو ما نجد عند يزيد بن الصعق، فقد أرسل بشكوى طويلة إلى الخليفة عمر بن الخطّاب من أصحاب الخراج، يقصّ عليه كيف أثْرَوا ثراءً غير مشروع، من أعمالهم التي يتولّونها، وممّا يأخذون لأنفسهم من المغازي، وفيها يقول:

نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غَزوا فأنّى لهم وَفْرٌ وليس لنا وفر[٦٠]

كيف ـ إذاً ـ يقبل مثل هؤلاء الولاة بالتسوية في العطاء؟ حدث الشيء نفسه في زمن الإمام، حيث وبّخ أحد عمّاله، وهو مصقلة بن هبيرة الشيباني على الجور في قسمة الفيء: **«إنّك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأُريقت عليه دماؤهم، في من اعتامك من أعراب قومكَ، فوالذي خلق الحبّة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً، لتجدنّ لك عليّ هواناً... ألا وإنّ حقّ مَن قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء»**[٦١].

ثانياً: الغاية لا تبرّر الوسيلة

من المعروف أنّ المبدأ الذي سار عليه العديد من السياسيّين في الماضي والحاضر، وربّما هو ما يسيرون عليه في المستقبل، هو أنّ «الغاية تبرّر الوسيلة»، وهذا يُبيح استخدام كلّ الوسائل، بما فيها غير المشروعة، والفاسدة، من المكر والخداع والحيلة والغدر والكذب ونقض العهد، من أجل الوصول إلى غاياتٍ وأهدافٍ محدّدة، غير أنّ الإمام رفض كلّ ذلك رفضاً قاطعاً؛ لأنّ الغايات عنده دائماً نبيلةٌ، وتستلزم وسائل نبيلةً، وليست فاسدة. لذا، فإنّ الإمام يدعو إلى التماثل والوحدة بين الوسائل والغايات قائماً على الفضيلة والخير. أي: غاياتٌ نبيلةٌ تتطلّب وسائل نبيلة، ووسائل نبيلةٌ تتطلّب غاياتٍ نبيلة، وفي هذا يقول أبو العتاهية:

ما يُنال الخير بالشّرّ ولا يحصد الزّراع إلّا ما زرع[٦٢]

ولكن ما علاقة ذلك بإثارة الفتنة؟

الجواب: هو أنّ قسماً من الرعيّة كانوا يتوقعون من الإمام أنْ يلبّي طموحاتهم ويحقّق مصالحهم الخاصّة، ولو على حساب مبادئ الشريعة الإسلاميّة. وفي هذا، يقول الإمام عليه السلام في ذمّ أصحابه: «**وإنّي لعالمٌ بما يُصْلحكم ويُقيم أَودكم، ولكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي**»[٦٣]؛ لأنّه لو تحقّقت مصالحهم، لانصلحوا ولم يعصوا أوامره عليه السلام.

وكذلك يقول عليه السلام: «**وما خير خيرٍ لا يُنال إلا بشرّ، ويُسْرٍ لا يُنال إلاّ بعُسْرٍ**». يريد: أيّ خيرٍ في شيءٍ سمّاه الناس خيراً وهو ممّا لا يناله الإنسان إلاّ بالشرّ، فإنْ كان طريقه شرّاً فكيف يكون هو خيراً[٦٤]؟

وله عليه السلام قولٌ رائعٌ أيضاً، يبيّن فيه اختلاف الغايات والوسائل بينه وبين من بايعه: «**لم تكن بيعتكم إيّاي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، إنّي أريدكم لله، وأنتم تريدوني لأنفسكم**»[٦٥].

وكذلك، يقول عن رفضه للوسائل الفاسدة: «**أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلّيتُ عليه؟!**»[٦٦].

كما أنّ الإمام لا يريد أن يطبّق المنع من الوسائل الفاسدة على نفسه فحسب، بل على وُلاته أيضاً، ففي كتابٍ له إلى أحد عمّاله، وهو مصقلة بن هبيرة الشيباني، يقول فيه: «**لا تُصْلح دنياك بمحْق دينك**»[٦٧].

ومن عهده للأشتر لما ولاّه مصر يقول: «**فلا تُقوّينّ سلطانك بسفْك دمٍ حرامٍ**»[٦٨].

ومن كتابٍ له إلى أحد وُلاته، وهو المنذر بن الجارود العبديّ، وقد خان في بعض ما ولاّه من أعماله: «**تَعْمُرُ دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك؟!**»[٦٩].

ثالثاً: الموقف من فرض الآراء

من الواضح: أنّ فرض آراءٍ معيّنة بالقوّة والإكراه ـ من أيّة جهةٍ كانت ـ على الآخرين يُعدّ أمراً مرفوضاً كلّيّاً، خاصّةً إذا كانت هذه الآراء خاطئةً ومخالفةً لرأي الحكماء والعقلاء. وإذا جاءت في وقتٍ حرجٍ جدّاً، فإنّ الأمر يزداد سوءاً، ويؤدّي إلى الاضطراب والفوضى والفتن. حدث ذلك أثناء معركة صفّين، عندما كادت الحرب أن تنتهي لصالح الإمام علي عليه السلام، غير أنّ خديعة رفع المصاحف على الرماح من قِبل الطرف المناوئ للإمام، أثار الخلاف بين صفوف أنصاره. والغريب في الأمر: أنّ فريقاً من جنود الإمام عليه السلام، تمرّد عليه أثناء المعركة، وأخذ يفرض آراءه، وبالقوّة، على الآخرين، عاصياً بذلك أوامره عليه السلام، معتقدين أنّهم بذلك سائرون على الحقّ، وأنّ المسلمين ممّن سواهم قد خرجوا على حدود الله. والأكثر غرابةً من ذلك: أنّ هذا الفريق فَرَض رأيه، ليس في قضية واحدة فحسب، بل في أربع قضايا متداخلةٍ فيما بينها، ولم يكترثوا بنصائح الإمام وتبصراته:

أُولى هذه القضايا هي:

وقف القتال، فقد حاول الإمام عليه السلام كلّ جهده حثّهم على مواصلة القتال، ولكنّهم رفضوا ذلك وقالوا: «**دُعينا إلى كتاب الله ونحن أحقّ بالإجابة إليه**»، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّها كلمة حقٍّ يُراد بها باطل، إنّهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حُكمها، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعةً واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يَبْقَ إلاّ أنْ يُقْطع دابر الذين ظلموا**»، فخالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها[٧٠]، والشيء المحيّر هنا هو: لماذا لم يرجعوا إلى كتاب الله قبل بدء القتال؟

والقضيّة الثانية هي:

قبولهم بالتحكيم، وقد أرغموا الإمام أيضاً عليه، بعد أن نهاهم عن إجابة أهل الشام في طلب التحكيم، بقوله: «**وقد كُنْتُ نهيْتكم عن هذه الحكومة، فأبيْتم عليّ إباء المخالفين المنابذين، حتّى صَرفْتُ رأيي إلى هواكم**»[٧١]. والشيء المؤسف أنْ يلجأوا إلى التحكيم، والحال أنّ الحقّ واضحٌ بين يدي الإمام عليه السلام.

والقضية الثالثة التي عصوا بها الإمام هي:

مسألة اختيار الشخص في عملية التحكيم: «**فاختار معاوية عمرو بن العاص، واختار أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعريّ، فلم يرضَ أمير المؤمنين، واختار عبد الله بن عباس، فلم يرضوا. ثمّ اختار الأشتر النخعيّ فلم يُطيعوا، فوافقهم على أبي موسى مُكْرَهاً، بعد أنْ أَعْذر في النصيحة لهم، فلم يُذْعنوا**»[٧٢].

والقضية الرابعة هي:

اتّباعهم منهجاً مختلفاً في تفسير نصوص القرآن الكريم، مخالفين بذلك ما يراه الإمام. فمثلاً: كان من زعمهم: أنّ من أخطأ وأذنب فقد كفر[٧٣]. كذلك

اعتقد هؤلاء الخارجون: أنّ الخروج عن طاعة الإمام ممّا يوجبه الدين عليهم، فطلبوا حقّاً وتقريره شرعاً فأخطأوا الصواب فيه[٧٤]. وفي ذلك يقول الإمام: «**أصابكم حاصب، ولا يبقى منكم آبر! أبَعْدَ إيماني بالله وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر؟!**»[٧٥]. ومن الغريب: أنّ المناوئين كان أكثرهم ممّن أرغم الإمام على قبول التحكيم، فلمّا تمّ التحكيم كفّروه لقبوله التحكيم! وبالتالي: فقد نقضوا بيعته، وجهدوا بعداوته، وصاروا له حرباً[٧٦].

إنّ العبر والأمور التي نستخلصها في نهاية هذه الفقرة هي:

أوّلاً: أنّ معصية ومخالفة الإمام، وهو العالِم المجرّب، تُسْفر عن فتنٍ واضطراب، كما يقول عليه السلام: «**فإنّ معصية الناصح الشفيق، العالم المجرّب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة**»[٧٧]. كما أنّ الإمام قد أشار إلى ذلك، وإلى حقوقه وحقوقهم قبل بدء الحرب بقوله: «**أيّها الناس! إنّ لي عليكم حقّاً، ولكم عليّ حقٌّ؛ فأمّا حقّكم عليّ: فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا. وأمّا حقّي عليكم: فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم**»[٧٨].

والغريب: أنّ هؤلاء المناوئين لم يُعيروا أي اهتمام ـ أيضاً ـ لوجود أشخاصٍ من أصحاب الإمام لهم وزنهم وقدرهم، مثل: عبد الله بن عباس، والأشتر النخعيّ، والأحنف بن قيس، وغيرهم.

وثانياً: إنّ توقيت هذا العصيان والخروج عن طاعة الإمام ومجادلته، يُعدّ أمراً خاطئاً أثناء المعركة الحاسمة، خاصّةً بعد أن سار جيش الإمام المسافات الطويلة للوصول إلى أرض المعركة.

وثالثاً: إنّ إطلاق صفة التكفير ـ مِن قِبل فئاتٍ معينة ـ على الإمام، يُعَدّ أمراً كبيراً، ومثيراً للفتنة، إنّه حقّاً لأمرٌ محزنٌ وعجيبٌ في الوقت ذاته، فكيف يُطَلق

على الإمام عليه السلام صفة الكفر وهو ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وأوّل المصدّقين به وزوج ابنته.

ورابعاً: نعتقد أنّ من الأشياء التي أدّت إلى الفتنة في صفّين، هي وجود أشخاص قد خطّطوا قبل المعركة، ووضعوا احتمالات الخسارة، عندها قرّروا أن يرفعوا المصاحف؛ لأنّ هذه الفكرة لا يُمْكن أنْ تأتي فوْراً وأثناء المعركة. أضفْ إلى ذلك: أنّه من المحتمل أن يكون ثمّة أطراف من جنود الإمام قد تواطأوا معهم لتنفيذ هذه الخطّة التي تعتمد على المراوغة والحيلة والخداع وكيفيّة التخلّص من المآزق الحرجة.

وسائل مساعدة لإخماد الفتن:

لا يُمْكن حصر إخماد الفتن في وسيلةٍ واحدة، كما لا يوجد حلٌّ نموذجيٌّ وحيد أمثل لها. وهذا يقتضي دراسةً وبحثاً وتأمّلاً باستمرار عن مسبّبات الفتن والظروف التي تنبثق عنها أوّلاً، ومن ثمّ التوصّل إلى حلولٍ تساعد في القضاء عليها ثانياً. لكنّ من أكثر الفترات التي تحدث فيها الفتن، هي فترات الانعطافات الشديدة في التاريخ، وفي أثناء العواصف الاجتماعيّة والتحوّلات الجذريّة في المجتمعات، هذا من جهة. ومن جهةٍ أُخرى: فإنّ الالتزام الصارم بالمبادئ والتمسّك الشديد بها يُسفر أحياناً عن زيادةٍ في الاضطراب والفتنة. يؤكّد على ذلك علي الوردي بقوله: «إنّ المبادئ المثاليّة تصلح لإثارة الناس، ولا تصلح لإخضاعهم... وعادة الناس أنّهم لا يخضعون للرجل الصالح الذي يستخدم السيف والمال في حدود ما أمر الله به. فهم لا يكادون يأمنون جانبه حتّى يتمرّدوا عليه ويجادلوه جدلاً لئيماً لا طائل وراءه»[٧٩].

وممّا يؤيّد ذلك: هو ما نجده في خُطب الإمام علي عليه السلام ورسائله، من ألمٍ وحسرةٍ وأسىً وخذلان، نتيجة عصيان أصحابه ورفضهم إطاعة أوامره.

فمثلاً: من كلامٍ له في توبيخ أصحابه على التباطؤ عن نصرة الحقّ يقول: «**صاحبكم ـ أي: هو الإمام نفسه ـ يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه**»[٨٠]. لذلك، فقد أفسدوا عليه رأيه. كما يقول عليه السلام في ذمّ القاعدين: «**وأفسدتم عليّ بالعصيان والخذلان**»[٨١].

ليس هذا فقط، بل أصبح يأتمر بأوامرهم: «**لقد كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً، فأصبحت اليوم منتهياً**»[٨٢]. وهذا هو عكس الواقع، كما يقول سعدي الشيرازي:

وما غنم الراعي أعدّت لأجله ولكنّما الرّاعي أعدّ ليرعاها

إنّ رأي علي الوردي هذا، يجرّنا إلى موضوع العلاقة بين فنّ الحكم والأخلاق، أو بين السياسة والأخلاق، وهي من أصعب العلاقات وأعقدها، فقد أخذت حيّزاً كبيراً من النقاشات والجدل، عن كيفيّة الموازنة بين فنّ الحكم والالتزام بالأخلاق الحميدة والشرع القائم على المبادئ الدينيّة. لذلك، هناك من يستطيع القضاء على الفتن أو الوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها، أو التعامل مع الخلافات، بالتجرّد عن المبادئ والأخلاق الحميدة، فهو يسير باستخدام الغشّ والكذب والحيلة والمداهنة والمراوغة والقوّة فقط، وغيرها... كما يقول الشاعر عن معاملة الأعداء:

ولِنْ لهم وخادعهم أو اشدد على صفحاتهم وطأً شديداً

أي: أن تكون معهم كأنّك منهم، أو تكون قويّاً تقاتلهم قتال الأبطال. هذا القول ينطبق على الطريقة التي يدعو لها ميكافيلّي في كتابه الأمير، أنْ يكون الأمير نصف إنسان ونصف حيوان. فالأمير يجب أن يقلّد الأسد في قوّته والثعلب في مكره: «إنّ الأمير يجب أنْ يتعلّم الطبيعتين الإنسانيّة والحيوانيّة، وإنّ إحداهما لا يمكن أن تعيش بدون الأُخرى. وعلى الأمير الذي يجد نفسه مُرْغماً على تعلّم طريقة عمل الحيوان، أنْ يقلّد الثعلب والأسد معاً؛ إذ إنّ الأسد

لا يستطيع حماية نفسه من الأشراك، والثعلب لا يتمكّن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب. ولذا يتحتّم عليه أن يكون ثعلباً ليميّز الفخاخ، وأسداً ليُرهب الذئاب»[٨٣].

ولكنّ ميكافيللي يستدرك ويقول: إنّ من يستخدم الوسائل الفاسدة قد يصل إلى الحكم، ولكنّه لا يصل إلى المجد: «لا يُمْكننا أن نُطلق صفة الفضيلة على من يقتل مواطنيه، ويخون أصدقاءه، ويتنكّر لعهوده، ويتخلّى عن الرحمة والدين. وقد يستطيع المرء بواسطة مثل هذه الوسائل أنْ يصل إلى السلطان، ولكنّه لن يصل عن طريقها إلى المجد»[٨٤].

والحقيقة: لا زالت هذه الأقوال تأخذ طريقها للتطبيق منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وقبل ذلك بكثير، أي: قبل أن يكتبها ميكافلّلي. ومن القضايا التي تساعد في إخماد الفتن، نذكر ما يلي:

١) **المرونة**: وتعني القدرة على تغيير وجهة النظر الذّاتيّة، للفرد أو للفئة إلى وجهة نظرٍ جديدة تساعد في حلّ المشكلة، وعلى إيجاد قواسم مشتركة بين مختلف الأفراد والفئات الاجتماعيّة المتنافسة. أي: لا بدّ أنْ يكون ثمّة تساهلٌ أو تنازلٌ حكيم، أو تأخيرٌ في هدفٍ معيّن. وكلّ ذلك يتطلّب ليونةً وترفّقاً ومناورة، من إقدامٍ واحجام، وتقديمٍ وتأخير، أو الالتفاف حول الهدف. غير أنّ هذه المرونة لا تعني التنازل عن الحقّ والعدالة والاستقامة، وإنّما تتطلّب الابتعاد عن المواقف المتصلّبة والتمسّك الشديد بالأهداف الخاصّة، كذلك الابتعاد عن الطرق التقليديّة التي تُثْبت فشلها في التوصّل إلى حلولٍ مناسبة. هذا من الناحية النظريّة. وأمّا من الناحية العمليّة فليس من السهولة تطبيق هذه المرونة؛ لأنّها تصطدم بالحواجز النفسيّة وقوّة التقاليد والقوالب والعادات التي أصبحت أغلالاً وقيوداً بالنسبة للأفراد والفئات

المتنافسة؛ لأنّ هناك من يسعى إلى حلّ الخلافات بفرض وجهة نظره بالقسر والإكراه، هدفه أنْ يتغلّب ويطغى على الآخر بالقوّة. إنّ هذه المرونة بحاجة إلى اللّين مع شيءٍ من الشدّة، أو التناوب بين القسوة والرأفة، كما يقول الإمام عليه السلام في كتابٍ له إلى بعض عمّاله بخصوص دهاقين أكابر بلده: «**فالْبس لهم جلباباً من اللّين، تشوبه بطرفٍ من الشدّة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء**»[٨٥]. تشوبه: تخلطه.

٢) **التضحية**: وهي من العوامل التي تساعد في القضاء على الفتنة، ولكنّ التضحية ينبغي أنْ تكون في مصلحة المجتمع. وفي هذا المقام يقول برتراندرسل: «**إنّ أنجح المجتمعات هي التي تضحّي بمصلحة الأفراد في سبيل مصلحة الجماعة، أو على الأقلّ تُخضعها لها**». وقد عبّر هذا القول عن الحقيقة، فنحن نشهد ازدهار المجتمعات حيث تسود الأعراف الأخلاقيّة التي تُعلي شأن الصالح العامّ، بينما المجتمعات التي تسود فيها أعرافٌ تتجاهل الصالح العامّ في سبيل المصالح الفرديّة، فمصيرها إلى الانهيار فالانقراض[٨٦]، فإذا تنازلت كلّ فئةٍ من الفئات المتخاصمة عن بعض أهدافها، يحصل ما يُطلَق عليه (العقد الاجتماعيّ)، الذي يقوم بمقايضةٍ مربحة، فهو يُعطي بعضاً من حقوقه لقاء ضمان صوْن حقوقه الأُخرى[٨٧]، وبذلك نصل إلى حلولٍ توفيقيّةٍ وسطيّةٍ يَرْبح بها الجميع.

٣) **التحكّم بالعواطف والانفعالات من تطرّفها وحدّتها**، وما تؤدّي إليه من كراهيةٍ وانتقام، وتغليب العقل واستخدام التحليل المنطقيّ لكلّ القضايا التي من الممكن أن تثير الفتن. أضفْ إلى ذلك: الامتناع عن الأقوال التي تزيد من التوتّر، كما يقول أحد المفكّرين: «**الفنّ الحقيقيّ**

ليس هو أنْ تقول الشيء الصحيح في الموضع الصحيح، بل أنْ تمتنع عن قول الشيء الخطأ في اللّحظة الحرجة». كما أنّ التحكّم بالعواطف ينطبق حتّى على معاملة الخصوم، فينبغي الموازنة بها، كما يقول الإمام في ذلك: «**من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتّقي الله من خاصم**». أي: قد يصيب الظلم من يقف عند حقّه في المخاصمة فيحتاج للمبالغة حتّى يرد إلى الحقّ، وفي ذلك إثم الباطل، وإنْ كان لنيْل الحقّ[٨٨].

٤) **الاتّفاق على ما هو خطأ**: إذا كان ثمّة اختلافٌ عن صحّة قضيّةٍ ما، ولم يحصل اتّفاقٌ عليها، فإنّه على الأقلّ: من الممكن الاتّفاق على ما هو خطأ؛ لأنّ الحُكم عليه يظهر من خلال الواقع ومن خلال الممارسة. وبهذا المقام يقول كارل بوبر: ليس هناك معيارٌ للحقيقة (أو) الصدق، ولكنْ هناك ما يُشبه معيار الخطأ: إنّ التصادمات التي تحدث داخل معرفتنا، أو بين معرفتنا وبين الوقائع، تشير إلى أنّ هناك شيئاً ما خطأ[٨٩]. وممّا يزيد من أمر الفتنة خطورةً: الأفكار الخاطئة التي تُضلّ الناس ويصدّقونها ويدافعون عنها بكلّ قوّة، بل ويضحّون بأنفسهم من أجلها دون فحصها وتحليلها، كما يقول الشاعر:

لو عرف الإنسان عيبه لما ... رأيت عيباً ما طال المدى
لا يشعر الجاهل بالجهل كما ... لا يشعر السّكران إلّا إنْ صحا
لا يعرف الصّحيح قيمةً لِما ... كان من الصّحة حتّى يبتلى

٥) **بُعد النظر**: أي: القدرة على التنبّؤ والتوقّع والمعرفة المُسْبقة لِما يُمْكن أنْ تتطوّر إليه الأحداث؛ لأنّ ذلك سيضع كلّ الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة التي تؤدّي إلى نشوء الفتن والاضطرابات، عند ذلك ينبغي وضع الحلول والخطط الكفيلة بالقضاء على الفتن في مهدها. إنّ هذا

التنبّؤ والتوقّع ليس رجماً بالغيب، بل قراءة صفحة المستقبل استناداً إلى ما يحدث في الوقت الراهن وإلى ما حدث في الماضي. كما يقول الشاعر:

عليمٌ بأعقاب الأُمور كأنّما ... يرى بصواب الرّأي ما هو واقع
بصيرٌ بأعقاب الأُمور برأيه ... كأنّ له في اليوم عيناً على الغد[٩٠]

لقد كان هدف الإمام، دائماً، هو درء وقوع الفتن وإخماد نارها قبل أن تستفحل، وقد جهد بذلك بأقصى ما يستطيع مستخدماً كلّ الوسائل السياسيّة. ولأنّ الإمام كان شديداً في تطبيق المبادئ الإسلاميّة، فهو لم يُساوم ولم يدارِ أحداً، حتّى أنّه رفض مشورة ابن عباس بقوله: «**لك أنْ تشير عليّ وأرى، فإنْ عصيْتك فأطعْني**»؛ وذلك عندما أشار إليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة، ولابن الزبير بولاية الكوفة، ولمعاوية بإقراره في ولاية الشام؛ حتّى تسكن القلوب وتتمّ بيعة الناس وتلقى الخلافة بوانيها، فقال أمير المؤمنين: «**لا أُفسد ديني بدنيا غيري**»[٩١].

وفي ذات الوقت، أصرّت القوى المضادّة على مواقفها من الطمع في الدنيا وتضليل أحكام القرآن، معبّئةً بذلك مختلف الذرائع والحجج، وأثارت الفتنة، وجيّشت الجيوش لقتال الإمام عليه السلام. وممّا زاد في الأمر سوءاً، هو عصيان أصحابه ورفض أوامره، لذلك فقد أفسدوا عليه خططه وآراءه، حتّى وصل إلى مرحلةٍ يقول فيها: «**لا رأي لمن لا يطاع**»[٩٢].

أضفْ إلى ذلك: أنّ هناك من لا يروق له، ولا من مصلحته أنْ يرى الإمام وهو يكافح من أجل تطبيق العدل والحقّ والمساواة، ويحاسب أصحابه وولاته حساباً عسيراً. فمثلاً: وبّخ عامله عثمان بن حنيف الأنصاريّ؛ لحضوره وليمة دُعِي لها[٩٣]. كذلك انتقد أحد أصحابه، وهو العلاء بن زياد الحارثيّ؛ لسعة داره[٩٤]. أمّا قاضيه شريح بن الحارث: فقد كتب إليه يتحقّق عن مصدر المال الذي اشترى به داراً بثمانين ديناراً[٩٥]. وكتب إلى بعض عمّاله يطلب منه حساباً

بالأموال التي أنفقها[٩٦].

كيف ـ إذاً ـ لا تُثار على الإمام الفتن من قِبل الذين يريدون الاستمتاع بالدنيا ظلماً وعدواناً؟! ولكنّنا في هذه الدراسة، ليس هدفنا هو إجراء محاكمة لما مضى. بل كلّ ما نطمح إليه هو الاستعراض لما حدث، لكي يمكن الاستفادة منه لحاضرنا ومستقبلنا؛ لأنّ قوى الشرّ والباطل والضلالة والطمع في الدنيا لا زالت تتكرّر في التاريخ بإثارتها للفتن وتتوارث فيما بينها، وكلٌّ يحذو حذو الذي قبله. كما أنّ هذه القوى أخذت في الوقت الراهن تُغيّر وتُطوّر من أساليبها، مستفيدةً من كلّ الإمكانات الحاليّة لإثبات صحّة مخطّطاتها وبرامجها. وفي مقابل ذلك يتطلّب من قوى الخير والحقّ أنْ تُغيّر هي أيضاً من أساليبها ومخطّطاتها.

وأخيراً...

لا بدّ من القول بأنّ الإمام، في كلّ الفترة التي قضاها في الحكم، عند معالجته للفتن التي واجهها، لم يلجأ أبداً إلى أيٍّ من الوسائل غير الأخلاقيّة والأفعال القبيحة كالغدر والمكر والاحتيال والكذب والخديعة، كما كان يفعل أعداؤه. وفي هذا المقام يقول الإمام: «**والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكُنْتُ من أدهى الناس**»[٩٧]. لذلك، فقد بقي الإمام، رغم كلّ الظروف التي أحاطت به، متمسّكاً بحدود الله، متحلّياً بكلّ الصفات والسجايا الحميدة، ولم يلجأ إلى الحرب للقضاء على الفتن إلاّ اضطراراً، بعد استنفاذ كلّ الوسائل السلميّة.

* * *

الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب ١٣: ٣١٧، الطبعة السادسة، ١٩٩٧م، دار صادر، بيروت.

(٢) التهانويّ، محمّد علي، موسوعة كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون ٢: ١٢٦٤، ط مكتبة لبنان،

١٩٩٧م، بيروت.
(٣) ابراهيم الكيلانيّ، أبو الطيب المتنبّي: ١٨٠، ط وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٥م.
(٤) شوقي ضيف، العصر العبّاسي الثاني: ٤٠١، ط دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م، القاهرة.
(٥) مجمع اللّغة العربيّة، معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٢: ٣١١، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م، ط الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، القاهرة.
(٦) الرّاغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٢٣، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت، ١٩٩٦م.
(٧) الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة: ٦١٦، شرح الإمام محمّد عبده، ط مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٣م.
(٨) المصدر نفسه: ٦٤٥.
(٩) المصدر نفسه: ٢١٤.
(١٠) المصدر نفسه: ١٨٤.
(١١) المصدر نفسه: ٢١١.
(١٢) المصدر نفسه: ٦١١.
(١٣) المصدر نفسه: ٣٠٢.
(١٤) المصدر نفسه: ٢٢٣.
(١٥) المصدر نفسه: ٤٨.
(١٦) المصدر نفسه: ٧٢.
(١٧) المصدر نفسه: ٣٩٨.
(١٨) المصدر نفسه: ٣٠٢.
(١٩) المصدر نفسه: ١٢٣.
(٢٠) المصدر نفسه: ١٢٣.
(٢١) المصدر نفسه: ١٨٤.
(٢٢) المصدر نفسه: ١١٦.
(٢٣) المصدر نفسه: ٣٠٢.
(٢٤) المصدر نفسه: ٢٤٩.
(٢٥) المصدر نفسه: ٧١٠.
(٢٦) المصدر نفسه: ٢٢٢.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(٢٧) المصدر نفسه: ٣٩٩.

(٢٨) فؤاد البستاني، منجد الطلاّب: ٤٧٩، الطبعة ٤٤، ١٩٩٦م، ط دار المشرق، بيروت.

(٢٩) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٣٩٦.

(٣٠) المصدر نفسه: ٤٠٥.

(٣١) كارل بوبر، أسطورة الإطار: العدد ٢٩٢، ص ٢١٣، ترجمة يمنى الخولي، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٣م، الكويت.

(٣٢) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٦٠.

(٣٣) المصدر نفسه: ٨٤.

(٣٤) المصدر نفسه: ٣٧١.

(٣٥) المصدر نفسه: ٣٨٧.

(٣٦) المصدر نفسه: ٤٣٧.

(٣٧) المصدر نفسه: ٤٣٧.

(٣٨) شوقي ضيف، العصر الإسلاميّ: ٣٢٢، الطبعة السّابعة، ١٩٧٦م، دار المعارف بمصر، القاهرة.

(٣٩) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٢٦٣.

(٤٠) المصدر نفسه: ٤٣٦.

(٤١) المصدر نفسه: ٦٢٢.

(٤٢) المصدر نفسه: ٤٩٩.

(٤٣) المصدر نفسه: ٦٠٠.

(٤٤) المصدر نفسه: ٥٠٣.

(٤٥) المصدر نفسه: ٣٠٢.

(٤٦) المصدر نفسه: ٣٠٣.

(٤٧) المصدر نفسه: ٦٢٧.

(٤٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٥: ١٥٩، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥م.

(٤٩) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٦٢٩.

(٥٠) المصدر نفسه: ٨٤.

(٥١) المصدر نفسه: ٥٠٥.

(٥٢) المصدر نفسه: ٦٢٠.

(٥٣) المصدر نفسه: ٥٩٨.

(٥٤) المصدر نفسه: ٥٤٣.

(٥٥) المصدر نفسه: ٢٥٨.

(٥٦) المصدر نفسه: ٣٤٤.

(٥٧) المصدر نفسه: ٤٣٧.

(٥٨) المصدر نفسه: ٢٠٩.

(٥٩) المصدر نفسه: ٢٧٢.

(٦٠) شوقي ضيف، العصر الإسلاميّ: ٦٦.

(٦١) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٥٥٦.

(٦٢) هاشم صالح منّاع، أبو العتاهية: ٩٧، ط دار الفكر العربيّ، بيروت، ١٩٩٤م.

(٦٣) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ١٤٣.

(٦٤) المصدر نفسه: ٥٣٨.

(٦٥) المصدر نفسه: ٢٨٤.

(٦٦) المصدر نفسه: ٢٧١.

(٦٧) المصدر نفسه: ٥٥٦.

(٦٨) المصدر نفسه: ٥٩٤.

(٦٩) المصدر نفسه: ٦١٨.

(٧٠) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٧١) المصدر نفسه: ١١٠.

(٧٢) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٧٣) المصدر نفسه: ٢٧٣.

(٧٤) المصدر نفسه: ١٣٣.

(٧٥) المصدر نفسه: ١٣١.

(٧٦) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٧٧) المصدر نفسه: ١٠٧.

(٧٨) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٧٩) علي الورديّ، مهزلة العقل البشريّ: ٢٨٠، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ، دار انتشارات الرضيّ، قم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(٨٠) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٢١٦.

(٨١) المصدر نفسه: ٩٢.

(٨٢) المصدر نفسه: ٤٣٩.

(٨٣) نيقولو مكيافيللي، الأمير: ١٤٨، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٢م، تعريب خيري حمّاد، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٨٤) المصدر نفسه: ٩٨.

(٨٥) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٥٠٧.

(٨٦) ارنست ماير، هذا هو علم البيولوجيا: ٢٨٤، ترجمة عفيفي محمود عفيفي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٧، الكويت، ٢٠٠٢م.

(٨٧) كيريلينكو وكوروشونوفا، ما هي الشخصيّة: ١١٢، ترجمة موفق الدليمي، ط دار التقدّم، موسكو، ١٩٩٠م.

(٨٨) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٦٩٥.

(٨٩) كارل بوبر، مصدر سابق، ١٧٣.

(٩٠) نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوّره: ١٨١، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ط مكتبة التحرير، بغداد.

(٩١) الإمام محمّد عبده، نهج البلاغة: ٦٩٩.

(٩٢) المصدر نفسه: ٩٢.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(٩٣) المصدر نفسه: ٥٥٨.

(٩٤) المصدر نفسه: ٤٣٩.

(٩٥) المصدر نفسه: ٤٩١.

(٩٦) المصدر نفسه: ٥٥٢.

(٩٧) المصدر نفسه: ٤٣٢.